

كل مَنْ يستحق الدينونة, سوف يُدان !

هذا ما يعلمنا إياه الرسول بولس في العدد الثاني. لن تكون الدينونة حسب رغبات الناس. إنها ستكون بحسب الحق . إنها ستكون بحسب ما عمله الشخص تماماً. تخيّل شخصاً استمع إلى قائمة الخطايا الموجودة في الأصحاح الأول، وارتعب جداً. إنه شجب كل هذه الخطايا. لقد صُدم عندما استمع لهذه القائمة من الخطايا ويعارضها. لكن هذا الشخص له نفس الطبيعة، ويفعل نفس الأشياء، فهل ينجو من الدينونة؟ كلا، إنه يستحق الدينونة أيضاً، وسوف يُدان. الدينونة ستكون بحسب أعمال الإنسان، وبحسب الحق. لن تنجو من الدينونة لكونك قد تكلمت ضد الخطية.

ويكتب بولس الرسول – في العدد الأول – وفي ذهنه مثل هذا الشخص قائلاً: " لذلك أنت بلا عذر أيها الإنسان كل من يدين, لأنك في ما تدين غيرك تحكم على نفسك، لأنك أنت الذي تدين تفعل تلك الأمور بعينها".

والعدد الثالث أيضاً موجه لنفس الشخص: " أفنتظن هذا أيها الإنسان الذي تدين الذين يفعلون مثل هذه وأنت تفعلها، أنك تنجو من دينونة الله؟" والإجابة: كلا. إن كل مَنْ يستحق الدينونة, سوف يُدان. وبالطبع فإن انتقاد الرسول بولس هنا موجه على وجه الخصوص إلى اليهودي ذي البر الذاتي، كما سيطبق هذا أيضاً بنفس الكيفية على المسيحيين والمصلحين المزيفين.

الدينونة سوف تكون حسب أعمال الإنسان

هذا هو ما يعلمه العدد السادس، أن الدينونة ستكون بحسب أعمال الشخص. وتلك الأعمال هي التي ستحدّد المجازاة إن كانت عقاباً أبدياً أم مجداً أبدياً. هذا هو الحق الذي

يَعَلِّمُ الكِتَابُ المَقْدَسُ. وِمن المِهْمِ هِنَا أَن نَتَوَقَّفَ قَلِيلاً، وَأَن نَتَأَمَّلَ فِي أَعْدَادِ أُخْرَى مِّنَ الكِتَابِ المَقْدَسِ، مِثْلَ أَمِّ 24: 12، مَتَّ 16: 27، 2 كُورِ 5: 10، رُؤْيُ 22: 12. الدِّينُونَةُ سَتَكُونُ بِحَسَبِ أَعْمَالِ الشَّخْصِ؛ لِأَنَّ مَا يَعْملُهُ الْإِنْسَانُ هُوَ الدَّلِيلُ الْحَقِيقِيُّ لِمَا هُوَ عَلَيْهِ بِالفِعْلِ.

اقْرَأْ عِدَدَ 4، 5 وَحَاوِلْ أَن تَتَخَيَّلَ شَخْصًا لَا يَرَى أَيَّ عِلَامَةٍ مِّنَ عِلَامَاتِ الدِّينُونَةِ، وَيَسْتَنْتِجُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَبْدُ أَنَّ يَكُونُ مَتَسَاهَلًا، لِذَلِكَ فَهُوَ يَسْتَمِرُّ فِي خَطِيئَتِهِ دُونَ تَوْبَةٍ. تَرَى هَلْ أَنْتِ مِثْلُ هَذَا الشَّخْصِ؟ ثِقْ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ مَتَسَاهَلًا، وَأَنْتِ سَوْفَ تَدَانُ حَسَبَ أَعْمَالِكَ. إِنْ لَطَفَ اللَّهُ مَعَكَ هَدَفَهُ أَنْ يَقُودَكَ إِلَى التَّوْبَةِ. لَكِنْ بَدَلًا مِّنْ أَنْ تَتُوبَ مَاذَا فَعَلْتِ؟ إِنَّكَ تَسْتَهِينُ بِغَيْبِ لَطْفِهِ وَإِمهَالِهِ وَطُولِ أَنْتَاهِ. إِنَّكَ بِذَلِكَ تَبْرَهِنُ عَلَى أَنَّ قَلْبَكَ شَرِيرٌ وَقَاسٍ وَغَيْرُ تَائِبٍ. إِنَّكَ تَذْخِرُ لِنَفْسِكَ المَزِيدَ مِنَ الغَضَبِ الإِلَهِيِّ، ذَلِكَ الغَضَبُ الَّذِي سَوْفَ يَنْفَجِرُ وَيَدْمِرُكَ دَمَارًا أَبَدِيًّا، عِنْدَ اسْتِعْلَانِ دِينُونَةِ اللَّهِ العَادِلَةِ. وَهَذِهِ الدِّينُونَةُ سَتَكُونُ بِحَسَبِ أَعْمَالِكَ.

اقْرَأْ عِدَدَ 7، 10 وَتَخَيَّلْ شَخْصًا آخَرَ، شَخْصًا مَلِينًا بِالأَشْوَاقِ إِلَى السَّمَاءِ. إِنَّهُ يَعْملُ الصَّلَاحَ وَلَا يَتَوَانَى عَنِ فِعْلِ الخَيْرِ. إِنَّهُ لَا يَطْلُبُ غَيْرَ إِكْرَامِ اللَّهِ لَهُ، وَيَعْتَبِرُ أَنَّ رِضَى اللَّهِ هُوَ الشَّيْءُ الوَحِيدُ المِهْمُ. إِنْ كُلُّ سَعِيهِ هُوَ الخُلُودُ. هَذَا الشَّخْصُ أَيْضًا سَوْفَ يَكْفَأُ حَسَبَ أَعْمَالِهِ، وَمَكافَأَتُهُ هِيَ الحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ وَالمَجْدُ وَالكِرَامَةُ وَالسَّلَامُ وَالخُلُودُ الَّذِي يَبْحِثُ عَنْهُ. لَكِنْ المَشْكَلَةُ هِنَا، أَنَّكَ لَيْسَ مِثْلَ ذَلِكَ الشَّخْصِ، وَلَا أَنَا أَيْضًا، وَلَا أَيُّ شَخْصٍ آخَرَ – فِي أَيِّ مَكَانٍ أَوْ زَمَانٍ – إِلَّا المَسِيحَ. لَكِنْ المَبْدَأُ يَظَلُّ قَائِمًا: إِذَا وُجِدَ مِثْلُ ذَلِكَ الشَّخْصِ، فَسَيَنْطَبِقُ عَلَيْهِ كُلُّ مَا سَبَقَ أَنْ قَلْنَا، وَلِأَنَّهُ لَا يَوجَدُ بِالفِعْلِ مِثْلَ ذَلِكَ الشَّخْصِ؛ لِذَا كُتِبَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ. كُتِبَتْ لِتُظْهِرَ كَيْفَ يَمْكَنُ لِلخَطَاةِ أَنْ يَكُونُوا مَقْبُولِينَ لَدَى اللَّهِ.

اقْرَأْ عِدَدَ 8، 9 وَتَخَيَّلْ شَخْصًا آخَرَ، شَخْصًا يَدُورُ فِي فِلْكِ ذَاتِهِ وَلَا يَعْتَرِفُ بِسَيَادَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ. إِنَّهُ يَرْفُضُ أَنَّ يَطِيعَ الحَقَّ الَّذِي فِي كَلِمَةِ اللَّهِ، وَلِأَنَّهُ لَا يَوجَدُ مَا يَمْكَنُ أَنْ نَطْلُقَ عَلَيْهِ

فراعًا روحياً؛ لذلك فهو يطيع الإثم، ويخضع لما هو ليس بحسب ناموس الله. كل من هو مثل ذلك الشخص؛ سوف يُدان حسب أعماله. إن كنت أنت كذلك الشخص فسوف تدان. إن غضب الله المقضي به هو ضد هؤلاء الناس. إن غضب الله قادم عليهم. هذا هو سخطه. إن عاقبة مثل هؤلاء سوف تكون الكرب والألم والعذاب الشديد. إن المبدأ الثاني للدينونة واضح تماماً: إن الدينونة سوف تكون حسب أعمالنا.

الدينونة سوف تكون محايدة تماماً

ما قيل عن العقاب، ينطبق على اليهودي أولاً، كما ينطبق على الأممي (عدد9). وأيضاً ما قيل عن المكافأة ينطبق على اليهودي، كما ينطبق على الأممي (عدد10)، لأن ليس عند الله محاباة (عدد 11).

إن المبادئ المتعلقة بالثواب والعقاب تنطبق على اليهود والأمم بهذا الترتيب. اليهودي ليس له وضع خاص، والأممي ليس في وضع غير موات. إنها مجرد مسألة ترتيب. لن يكون هناك تفرقة بين شعب وشعب على أساس التراث الديني. سيعامل الجميع نفس المعاملة؛ اليهودي و الأممي والمسيحي والهرطوقي والوثني. إن الله محايد تماماً.

ليس عند الله محاباة، ولا يمكن أن يرتشي. لن تتأثر قراراته ببلد الشخص أو لونه أو جنسه أو غناه أو ذكائه أو قدراته أو مركزه الاجتماعي. إن عدالة الله مطلقة وبره كامل. إنه لن يكون أكثر قسوة أو أكثر تساهلاً – ولو لدرجة واحدة – عما تستحقه خطايانا. كل طريقه حق. هو عادل وبار في نفس الوقت. ليس هناك ما يمكن أن يجعله يتخلى عن العدالة المطلقة. المتزوج والأرمل، الوسيم والدميم، المتعلم والجاهل – الكل متساوون في محضره.

يا لها من رحمه!! إذ أن كل واحد سيُدان حسب استحقاقه. لن يكون هناك سبب للاحتجاج. يا له من أمر مرعب أن نسقط في يدي شخص آخر ليحكم علينا!!

لقد تعلمنا أن كل من يستحق الدينونة؛ سوف يُدان، والدينونة سوف تكون محايدة تماماً. لكن، كيف يحكم الله على أعمالنا إن كانت صالحة أم شريرة؟ ما هو المقياس الذي سوف يستخدمه في ذلك؟

الدينونة سوف تكون بحسب ناموس الله

يتضح هذا من الأعداد 12 – 15. لو افترضنا أن هناك شخصاً أممياً وثنياً، هذا الشخص لم ير ناموس الله في حياته، ولا سمع عنه على الإطلاق. عندما ننظر إلى أفعال ذلك الشخص، نجد أن لديه إحساساً بناموس ما، وهذا الناموس هو ناموس الله؛ فهو يؤمن أنه يجب عليه إكرام الوالدين. إنه يستاء من سرقة ممتلكاته. إنه يدافع عن حياة الذين يحبهم، ضد من يحاول أذيتهم أو قتلهم. إنه شديد التمسك بأن من الخطأ أن يأخذ رجل آخر زوجته، ويكون قاسياً جداً مع كل من تسول له نفسه أن يفعل ذلك. إن لدى هذا الشخص إحساساً واضحاً بالوصايا الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة.

إن ذلك الشخص لم يتعلم الوصايا العشر على الإطلاق، لذا فإن هذا الإحساس بالناموس، ليس بسبب تعليم تلقاه، إنه جزء من تكوينه كإنسان. فالناموس الأخلاقي مطبوع على طبيعته، مكتوب على قلبه. إن له ضميراً يحكم به على سلوكه وعلى سلوك الآخرين، ويستنتج أن بعض هذا السلوك صحيح، وبعضه خطأ. هذه القدرة على التمييز بين الخير والشر، ليست واضحة دائماً في كل البشر، لكنها موجودة. ومع أن هذا الإنسان ليس لديه ناموس مكتوب، لكن لديه ناموس في داخله.

لكن هل معنى هذا أن الإنسان يطيع ذلك الناموس الموجود في داخله؟ كلا – إنه يتعدى عليه باستمرار. إنه يعتمد كسر الناموس، تماماً كما تعلمنا في الأصحاح الأول من الرسالة؛ لذا فحياة الإنسان لا ترضي الله، إنه هالك.

هذا ما نتعلمه من الأعداد 12 أ ، 14 ، 15. هذه الأعداد تشرح بوضوح ما يحدث للشخص الوثني. إنه لا يمتلك نفس القدر من النور الذي يمتلكه الآخرون؛ لكن لديه بعض النور. إذا أخذنا هذه الأعداد، مع الأصحاح الأول من الرسالة؛ يمكن أن نستنتج أن الوثني له معرفة كافية عن الله وناموس الله ودينونة الله؛ حتى أنه بلا عذر على الإطلاق. إنه ليس بدون نور، ومع ذلك هو مستمر في الخطأ ضد النور الذي لديه؛ لذلك فالرجال والنساء الوثنيون هالكون، ويحتاجون أن نقدم لهم الإنجيل.

هذا بالنسبة للوثني؛ لكن ماذا عن اليهودي؟ لا شك أنه أفضل حالاً، فله الناموس، وهو مطلع عليه جيداً، ومع ذلك فامتلاك الناموس لا يمنح الإنسان علاقة صحيحة مع الله؛ بل العمل بذلك الناموس. واليهودي لا يعمل بالناموس؛ لذا يؤكد بولس الرسول على أن نفس الناموس، الذي كسره اليهودي؛ سوف يكون المقياس الذي سوف يُدان على أساسه. هذا التعليم نجده في عددي 12 ب ، 13.

من المستحيل أن نسيء فهم ما يعنيه بولس، بقوله إن الناموس الذي يمتلكه الإنسان، هو المقياس الذي سوف يُدان على أساسه. كل الناس لديهم ناموس الله بصورة من الصور. البعض لديهم ناموس الله كوثيقة مكتوبة؛ وهؤلاء من الطبيعي أن نتوقع منهم الكثير؛ فمن أعطي كثيراً يُنتظر منه الكثير. والبعض لديهم الناموس مكتوباً في قلوبهم فقط، وهؤلاء ينتظر الله منهم أن يحفظوه.

لكن هؤلاء وأولئك لا يعيشون حسب النور الذي لديهم. ومع أن الوثني لا يُلام بنفس الدرجة التي يُلام بها اليهودي صاحب الامتيازات؛ لكن كلاهما مذنب أمام الله، وكلاهما هالكان.

والاختبار الحاسم لكل منهما – اليهودي والأممي – هو ناموس الله؛ الذي فشل كل منهما في حفظه، والدينونة سوف تكون بحسب الناموس. ومن الخطأ والتضليل أن نعرف الناس أنهم سوف يُدانون على أساس قبولهم أو رفضهم للمسيح؛ لذا يجب أن نعرفهم أن أساس الدينونة في محكمة الله هو ناموس الله. عندما يُدرك الشخص هذا؛ فإنه يصل إلى اليأس، ويفقد كل أمل في خلاص نفسه؛ عندئذ ستكون أعظم الأخبار السارة بالنسبة له، أن يسمع أن المسيح يقبل الخطاة.

بعض التفاصيل النهائية عن الدينونة

يحتوي عدد 16 على بعض التفاصيل، التي لا تذكرها الأعداد الأخرى. إنه ينبّر على أن الله سوف يدين، ليس فقط الأشياء الظاهرة التي عملها الإنسان؛ لكن الأشياء الخفية أيضاً. إنها لم تُخفَ عن ذاك الذي يعلم كل شيء. وسوف تكون الدينونة في يوم محدد، وسيكون القاضي هو الرب يسوع نفسه. ويعلن بولس الرسول أن كل هذا سيكون "حسب إنجيلي". إنه يعني أن هذا الإعلان عن الدينونة إنما هو إعلان إلهي، كما أنه يؤكد أيضاً على حقيقة أن الدينونة ليست موضوعاً منفصلاً عن الإنجيل؛ لكنها جزء مكمل لرسالة الإنجيل؛ لذلك يجب أن تكون الدينونة موضوعاً رئيسياً في الوعظ بالإنجيل.